انتشر مدعو القدرة على العلاج بالأعشاب بصورة ملفتة، ومع هذا الأمر نحتاج الى فترات تفكير وحذر كثيرة أثناء الحديث كي لا نخرج عن الحقائق العلمية والإيمانية ولا نغطي الواقع أو نتستر عليه..

الحقائق أن الأعشاب الطبيعية فيها علاج وشفاء ولكن في الواقع هناك من يستغل هذه النقطة الثابتة للعب تحت الطاولة والمزج بين استخدام الأعشاب الطبيعية التي يمكن بها علاج الأمراض وبين طرق احتيال ونصب يقودها الجهل بكيفية استخدام وتوجيه النباتات الطبية وتقودها أيضاً عقلية التآمر..

اليوم نعرض لقضية العلاج بالأعشاب من مستند استخدامه كعباءة من قبل بعض المدعين الذين يقولون أنهم فقط القادرون على المعالجة بالأعشاب ويطلق عليهم «الأطباء، العشابون، والشيوخ» فيما يؤكد العلماء والخبراء بأن العلاج بالأعشاب عام وليس خاصاً بنفر من الناس..!

تحقيق/ نجلاء علي الشيباني

طب الأعشاب.. وعباءة المحتالين!

من إحدى مناطق عتمة رجل وامرأته يتوجهان الى صنعاء بعد أن سمعا بأن هناك رجلاً يعالج بالأعشاب ويمتلك القدرة الخارقة على علاج الأمراض المستعصية التي يعجز الطب الحديث عن علاجها ،فالمرأة تعاني من ألم شديد في أسفل بطنها وظهرها وحمى ليلية وصداع نصفي بصورة مستمرة، وزوجها يعاني من ضيق في التنفس وألم شديد في المفاصل وطنين في الأذن اليمنى..

توجه الزوج وزوجته الى طبيب الأعشاب الذي يقطن في صنعاء- حي شميلة أمام جامع الرحمن- توصلا إليه بعد بحث ليس بطويل فأهل القرية التي ينتمي لها الرجل وزوجته وصفوا لهما العنوان بدقة متناهية لأن أفراد هذه القرية لا يفضلون الذهاب للمستشفى أو استخدام الأدوية الكيميائية، وهم يذهبون اليه كلما استدعى الأمر، ويتحملون مشقة التعب من أجل الشفاء بالطرق التقليدية.

طمأنة

وصل الرجل وزوجته الى المكان المطلوب «عيادة طب الأعشاب» فكان المعالج كما وصفوه طبب الوجه ويجلس بجواره رجل لديه مجموعة من الأوراق العادية المسجل عليها اسم المريض والوصفة وموعد العودة.. حصل على ورقتين.. واحدة له والأخرى لزوجته لتمكينهم من العلاج، سأل الرجل «طبيب الأعشاب» كما يسميه الزوج عن مرضه فوصف المرض وأخذ الأعشاب التي وصفت له.. كانت عبارة عن الحبة السوداء وعسل وشربة «سنا» وهي عبارة عن أوراق تشبه أوراق الحناء لونها أخضر فاتح يجفف ويدق ثم يسخن بالماء حتى يغلي وبعد تناوله يصاب الشخص بالإسهال مباشرة ولمدة يوم كامل.

النتيجة

● أخذ الزوج الوصفة فرحاً بعد أن حصل على الكلمة المطمئنة من الطبيب على حالته التي يسهل علاجها وبهذه الوصفة سوف لن يعرف المرض طريقه إليه بعد اليوم، دخلت زوجته بعده مباشرة وشكت لطبيب الأعشاب مرضها فأعطاها نفس الوصفة التي وصفها لزوجها دون زيادة أو نقصان.. بعد أن عادا الى منزل ولديهما الذي في المدينة وبدأ الاثنان باستخدام العلاج في ساعة متأخرة من الليل وظل ولدهما وزوجته وابنهما ينتظرون النتيجة وبعد أن نام الزوجان قريري العين وهما يتوقعان الشفاء في الصباح كما وعدهما العشّاب، سُمع في الصباح صراخ الزوجة وحينها فزع كافة أفراد المنزل والزوج ووجدوا الزوجة مرمية بجانب الحمام مغشياً عليها، سارع إليها ولدها وحملها الى أقرب مستشفى وعمل لها غسيل معدة وعادت الى المنزل بعد إنقاذ حياتها، ولكنها لم تستطع التخلص من المغص والإسهال لمدة يوم كامل، رغم هذا كله ظلت الزوجة منتظرة أن تظهر النتيجة وتتماثل للشفاء لأنها لم تعتبر بسهولة، أرادت العودة للأعشاب مرة أخرى رغم تحذير الأطباء لها حيث أنها تعاني من قرحة حادة في المعدة ولا تتحمل أي أعشاب لأنها حارة وقد تؤدي الى وفاتها وبها تيفود وضعف عام، زوجها لم يصبه شيء سوى الإسهال وقليل من الدوار لكنه كان أعقل من زوجته وقرر أن يأخذ عبرة مما حدث لزوجته وله وتوجه الرجل للمستشفى وأخبره الطبيب بأن لديه التهاباً في المفاصل وأعطاه إبراً مسكنة وبنسلين يضربها كل ٢٥ يوماً، وبعد أن عرف مرضه أخذ دواءه من الصيدلية ودواء زوجته وعادا الى قريتهما لديه، بعد رحلة الموت المريرة حرم الزوج بعدها أن يفكر بالعلاج عند أي طبيب أعشاب لكن الزوجة ما زالت تعشق طب الأعشاب ولم تتأثر بما حدث.

حالات أخرى

● وها هو رجل من سكان المدينة يعمل في منصب كبير يعاني من مرض في كليته.. أحس بالألم، نصحه الأصدقاء والأقارب بالتوجه للعلاج العشبي لأنه أفضل من الطبيب ووصف له العشاب الذي حمله إليه أحد الأقارب والذي أعطاه مجموعة أعشاب وشعيراً وثمرة الحب مما زاد من ألمه وسارع بعدها الى المستشفى، وامرأة أخرى تعاني من ضيق وقلق نفسي وألام في المعدة وصف لها طبيب الأعشاب عسلاً وحبة سوداء وزيت زيتون مما زاد في آلامها وأسعفت الى المستشفى وأعطيت مغذية ومنعت من الطعام لمدة ثلاثة أيام متتالية حتى تعالج المغذيات التي وصفت لها الجروح التي سببته لها الوصفة العشبية.

وصفات مشبوهة

● كثير من الأساليب التقليدية يعتقد أنها تعالج بعض الأمراض المستعصية والتي صعب على الأطباء والأدوية الكيماوية علاجها والأساليب التقليدية التي يؤمن بها البعض بأنه لا يمكن لأحد أن يعالجها سوى أشخاص محدودين اتخذت لنفسها مناهج للعلاج ووصفات لا يعرف من أين جاءت توردها بعض المصادر ومنها مثلاً: أن حالة النزيف بعد الولادة تعالج باستخدام حلتيت ودم الأخوين وزعفران يجمع مع بعض ويؤكل بشكل معجون عن طريق الفم، أما مرض الحساسية ويستخدم لها أغصان العلب وورق العباب وأوراق العنشط وثومة تدق مع بعضها ويدهن الجسم كله أو المكان الذي به حساسية، وعلاج مرض المعدة وتكون له وصفة مكونة من ورق القرض المجفف تقلى وتدق لتوضع على الجروح وبعد شفاء الحروق يدهن مكانها بزيت الزيتون لإعادة الجسم الى لونه الطبيعي، وأمراض الحصبة لدى الأطفال يستخدم لها قطرات القلف عن طريق الفم والعيون، كما يغطى الطفل بقطعة قماش أحمر اللون حتى يشفى من الحصبة، وألم الرأس والبطن يستخدم له أعشاب طبية كـ«لسان الثور» وهو نوع من الأشجار والمرير وورق القرض والفيحل والزر.

ويتضح هنا الخلط في استخدام الطب العربي تحت عباءة غير متخصصة ودقيقة من خلال وصف وعلاج أمراض الحصبة والرأس والحساسية وتستخدم لها علاجات لكل الأمراض قد تستند الى أساس لكنها تقدم بشكل خاطئ، ومن تلك الوصفات التي لا تملك لها تعريفاً مباشراً علاج أمراض الكلى من لسان الثور وقطبه أو موميه ودبل «عرق سوس» وشعر العنذ وتحوي وشمار وتدق بعضها ويشرب كما تشرب القهوة، أما عن الضعف الجنسي فيستخدم له وصفة مكونة من العنبر والزر والقرنفل والجرجير المجفف بالسمن البلدي ويعجن بالعسل الصافي ويطلق على هذه الوصفة «المعجون» يأكل المريض منه كل صباح ومساء لمدة أربعين يوماً كما ينصح آكل الدجاج بصورة مستمرة.

من هم العشابون؟

● المترددون على عيادات العلاج بالأعشاب يشكون من طول فترة العلاج وعدم الشفاء بل إن حالاتهم تزداد سوءاً.. وأصحاب العيادات المنتشرة في صنعاء يؤكدون بفعالية أعشابهم الطبية، وكون الخلطة التي تساعدهم في علاج حالة مرضية معينة داخلية كانت أم خارجية مكونة من الأعشاب الطبية طبيعية ١٠٠٪ أي بدون أضافات كيماوية كالأدوية الصيدلانية الكيماوية التي لا تحتوي على مكونات أعشاب طبيعية فقد تم تصنيعها من مواد وتركيبات كيماوية تؤثر تاثيراً مباشراً في مسببات المرض كالفيروسات والطفيليات والجراثيم وهي سلاح ذو حدين خصوصاً المضادات الحيوية، وحيث أنهم أحبوا التعرف على أسرار هذا النوع من الطب وعلى المبادئ الأولية لأسرار هذه المهنة فاتجه بعضهم لقراءة الكتب ذات المعلومات العلاجية من أجل زيادة المعرفة، ووصلت المتابعة لعدة سنوات مع ممارستها فعلياً.

اكتسب العديد من المعالجين مهنة العلاج بالأعشاب في بعض القرى والأرياف نتيجة لاكتساب الخبرة من أحد أفراد الأسرة خصوصاً الأب والأم نتيجة الجلوس بالجوار وتكليفه بالقيام ببعض الأعمال الصغيرة والبسيطة كجمع الأشجار الطبيعية وخلطها وشيئاً فشيئاً يكتسب المهنة، كما يتفق العشابون بأن العلاج بالأعشاب يحتاج الى مهارة ومعرفة تامة بجواهر النباتات وكذلك المعرفة التامة بالمرض وتاريخه وحتى أنهم وجدوا علاجاً للأمراض المستعصية التي يصعب على الطبيب البشري معالجتها وإيجاد الدواء الشافي له كمرض السرطانات المستعصية ومرض الإيدز..

ومعظم أطباء الأعشاب يستخدمون دعاية عبر توزيع المطويات والأوراق التي تحدد الأمراض التي يقومون بعلاجها والملصقات، ويتخذون لأنفسهم عيادات خاصة ولديهم موظفون لترتيب عملية سير الدخول للمرضى، والبعض الآخر يتخذ منزله كعيادة مصغرة للعلاج والبعض الآخر يجوب في الشوارع ويمر بالبيوت لبيع الأعشاب التي تشفي الألم خاصة آلام البطن والأسنان والديدان والكلى والبعض في الأسواق.

لا يخفى على أحد منا الكم الهائل للأطباء التقليديين الذين نجد عياداتهم في كل شارع وحي ومدينة حتى الأرياف تتمتع بأعداد لا حصر لها من أطباء الأعشاب.

تحذيرات

● يحذر الأطباء من التداوي بالأعشاب ويرجون من المرضى عدم تناول الأعشاب التي توصف لهم من قبل العشابين كونهم يجهلون بحقيقة مكونات النبات الحقيقي والأمراض التي يمكن شفاؤها.

الطبيب/عبدالله الذبحاني ينصح مرضاه دائماً بعدم الاستجابة للأشخاص الذين يدعون بأنهم أطباء أعشاب لأنهم لا يعالجون بقدر ما يسببون الازعاج والمرض للشخص المصاب، وقد يصعبون على الطبيب سرعة علاج مرضه كونهم يصفون أعشاباً لا علاقة لها بالأعراض المرضية التي تطرأ على المريض..

تتفق معه الطبيبة/نبيلة غياث الدين وتضيف: بأن الأعشاب الطبية هي نوع من أنواع الطب الذي درسته ويحتاج الى نوع من التدقيق والمعرفة التامة بفائدة كل عشبة، لكن ما تراه اليوم في العيادات العشبية هو عبارة عن نصب واحتيال على المواطنين خاصة الذين يأتون من الأرياف ولا يؤمنون بالطب البشري والعلاجات الصيدلانية.

وتقول الدراسة لمنظمة الصحة العالمية أن اثنين من كل ثلاثة معالجين تقليديين ممن تمت مقابلتهم قد ورثوا المهنة من آبائهم ويحاولون توريثها لأبنائهم، أما الثالث فقد اكتسبها عن طريق الكتب التقليدية وبدأ في تطبيقها على الجيران وبعد أن ظهرت نتائج مرضية بدأ بمباشرة العمل والدراسة ويرجعون اليها عند وصف العلاج.

الاستخدام المغلوط

● ويسرد الدكتور/عبدالله معمر- استاذ علم الاجتماع بجامعة صنعاء ثلاث أطر للطرق التقليدية المستخدمة في المعالجة ويرتبها حسب الأهمية قائلاً: أولاً الجانب الديني كتوزيع الصدقات وإقامة الموالد في بعض الأضرحة، ومحاولة الإثبات بمفاهيم دينية لتكريس فكرة الشفاء، إلا أن الغالبية يستخدمون الدين في العلاج بشكل مغلوط ومجانبة الحقيقة مستغلين بذلك إمكانات المتعالجين وفهمهم الديني المحدود، ويشكل هذا منفذاً سهلاً للدخول من خلاله والسيطرة على المريض وإيهامه بجدوى العلاج.

ثانياً: العلاج بالأعشاب وتُستمد خبرة العلاج بالأعشاب بالوراثة من الآباء أو الخبرة الشخصية من خلال الإطلاع على كتب للطب العربي المعروفة لدى المعالجين لا تتجاوز الأنواع العشرة ويتم استخدامها لجميع الأمراض مضافاً إليها أسلوب الإيهام بإعادة مصدر المرض الى القوى الغيبية، والإطار الثالث: هو الجانب السحري في العلاج فالسحر ذو حدين فمن ناحية يمكن استخدامه لإصابة الإنسان بالمرض والشرور ومن ناحية أخرى يمكن أن يكون علاجاً وقائياً فيستخدم على أساس رفع المرض عن المصاب وحمايته من المرض الذي قد يصاب به في يوم من الأيام.

ويستطرد الدكتور قائلاً: هذه الثلاثة الأطر تتداخل مع بعضها لتكون شكل العلاج القائم والذي يكون نسقاً علاجياً واحداً وتعد مسالة التخصص في العلاج صعبة الى حد ما..

ويضيف الدكتور عبدالله: بأن كثيراً من الناس يفضلون العلاج الشعبي لاعتقادهم به، وأنه يشفي أي مرض ومهما كان نوعه وهذا الأمر يجعل مثل هؤلاء المرضى لا يفضلون العلاج إلا لدى المعالج التقليدي وأن التفسير الخاطئ لنوعية المرض يساعد على انتشار الأمراض المعدية كما يؤثر في استمرار المرض ويعمل على حجب الأسباب الحقيقية المؤدية للمرض، مؤكداً بأن المواد العلاجية والوصفات توثر في سلوك أفراد الجماعات التي تسود فيها هذه المعتقدات عند تلمس الشفاء وكذلك اختيار المعالج الذي غالباً ما يقدم من المواد العلاجية والوصفات ما يتواءم مع تلك الرؤية الثقافية لمفهوم المرض والعلاج وفي حالة عدم الشفاء من هذه الأمراض بالعلاج التقليدي يتجه المريض بعد ذلك الى الطب الحديث.

مؤثرات

● الأشخاص الذين اتجهوا الى العلاج التقليدي يؤكدون على الدور الذي يلعبه الأصدقاء والأقارب والمحيطون بهم في مجالس القات في توجيههم الى العلاج التقليدي بل وتحديد نوعية المعالج، كما أن الأسرة تلعب دوراً في هذا الجانب كما يقول الدكتور/عبدالله معمر فهي تعمل على توجيه الفرد نحو أسلوب علاجي خارج المنزل يتفق مع المستوى الاقتصادي والثقافي والسكني للأسرة سواءً في الريف أو الحضر، كما تعمد الأسرة الى استخدام طريقة منزلية في العلاج تتفق مع المستوى والإمكانيات المادية للأسرة، فكلما كانت الأسرة أكثر فقراً كلما تأخر أفرادها في الاتجاه الى العلاج الطبي الحديث ويكون الاتجاه غالباً الى العلاج الأرخص ولا يلحق الأثر المرضي الفرد نفسه بل يلحق الفرد والأسرة والمجتمع على السواء أعباء اجتماعية واقتصادية كثيرة خصوصاً في حالة انتشار الأمراض المزمنة.. كما لا يزال ذوو الأصول الريفية المقيمون في المدن يحتفظون بمعتقداتهم السابقة حول العلاج التقليدي.

كما نجد أن سكان الريف أكثر ميلاً الى العلاج التقليدي ويلفت الدكتور عبدالله الى أن هذا لا يعني أن ظاهرة الاعتقاد بالعلاج التقليدي لا تزال في الحضر أقل من الريف.. مؤكداً بأن الدراسات في مجتمعنا توضح بأن النساء أكثر اتجاهاً الى العلاج التقليدي وأكثر إيماناً به خصوصاً عندما يمس الأمر إحداهن مباشرة أو أحد أبنائها الصغار، ويرجع ذلك الى محدودية الوعي والثقافة لدى النساء، أما عن دور التنشئة الاجتماعية فيؤكد أن هذا الدور مهم في إكساب الفرد مجموعة من القيم الاجتماعية المتعلقة بالعلاج والاصابة بالمرض وتعمل على ترسيخها في ذهنه ويعتقد بها والمستوى الاقتصادي..

فشل إعلامي

● ولا يجزم د/عبدالله معمر بأن الاتجاه الى العلاج التقليدي يرتبط بالدخل الضئيل ويقول: نجد من ذوي الدخول المرتفعة من لا يختلف سلوكهم في هذا المجال كثيراً عن سلوك الفقراء، فالمترددون على طلب العلاج التقليدي لا يمثلون مستوى دخل معين، ويأتي دور وسائل الإعلام التي تقوم بنشر هذه الأساليب والطرق العلاجية وطب الأعشاب وتعريف الناس بها عن طريق البرامج والمسلسلات والأفلام السينمائية فيأخذها الأفراد على محمل الجد لمداواة مرضاهم، وهذا الأمر يدل على أن الوسائل الاعلامية لم تلعب دورها في بث ثقافة معاصرة يقتنع بها الأفراد في مكافحة المرض وتدخل وتوجهه نحو العلاج الحديث، والتلفزيون رغم وجوده في كل منزل فإنه لم يستطع النفاذ الى جوهر هذا المنزل ومحاولة تغيير طريقة تفكير أفراده..

ويردف الدكتور/عبدالله قائلاً: بقاء واستمرار العلاج التقليدي حتى الآن يعتبر مناخاً مناسباً لانتشار العديد من المعتقدات حول المرض ومسبباته التي يعجز الطب الحديث عن تفسيرها، وقدمت الثقافة بالمقابل أساليب علاجية مختلفة لمواجهة المشكلات المرضية التي يقوم بها الأفراد أنفسهم أو بمساعدة المعالجين.

لكل داء ودواء

● المعتقد الشعبي يفسح مكاناً كبيراً لعوامل الأمراض النفسية بالذات التي لا ترجع أسبابها الى أسباب مادية معروفة أو لخلل فسيولوجي في جسم الإنسان.. فماذا عن الطرق العلاجية من وجهة نظر علم النفس.. توجهنا الى الدكتور/عبدالرحمن المنيفي- أستاذ علم النفس الإكلينيكي جامعة صنعاء فقال: هذه الظاهرة ظاهرة إنسانية ستظل قائمة مع الإنسان منذ الولادة وحتى الوفاة، فكلما ازدادت المشاكل والتوترات والأمراض النفسية لدى الإنسان أو قلة الثقافة ازداد انتشار ظاهرة العلاج التقليدي خاصة حين لا يتمكن الطب البشري الحديث من معالجة هذه الأمراض والأشخاص المؤمنين بها في المجتمع وعلى وسائل الاعلام المختلفة أن يكون لها دور ثقافي وتوعوي لإظهار حقائق وأكاذيب هؤلاء المعالجين أو العشابين.. الى جانب رفع مستوى التعليم والثقافة لدى الشباب وكذا الاهتمام بالجانب الاجتماعي حيث يجب على الأسرة أن تربي أبناءها منذ نعومة أظافرهم على الحقيقة والتمييز بين العلاج الحقيقي والعلاج التقليدي المغالط.

التداوي المشروع

● حيث نجد أن المعالجين أو العشابين يلقبون بالقاب مشتركة ما بين الطبيب والشيخ والسيد، يؤكد علماء الدين أن الله سبحانه وتعالى قد خلق الإنسان في أحسن تقويم ولكن الإنسان ضعيف بطبيعته وتعرض له كثير من الأمراض ويمكن علاجها بالأشياء المحسوسة، هذا أمر معروف والإنسان يتأثر بما حوله ويتعامل جسمه مع المواد الداخلة إليه، وهذا سبب للحياة وذلك سبب للموت، ويقول الدكتور/صالح صواب- رئيس قسم الدراسات الاسلامية جامعة صنعاء: نحن مسلّمون أن الله سبحانه قادر على فعل أي شيء، وإذا أراد الله تعالى أن يشفي إنساناً بدون سبب فإنه قادر على ذلك لكن الله عز وجل سن في الحياة سُنناً، وهذا لا يمنع وجود حالات تشفى بسبب الدعاء بينما لا يتصور الإنسان الشفاء، فها هو آدم عليه السلام خلق بدون أم وأب وعيسى خلق بدون أب، وهذه حقيقة لا يمكن إنكارها ويقول تعالى: «وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للعالمين» ولا يستبعد أحد أن يكون الشفاء بسبب القرب من الله بواسطة القرآن دونما دواء وهذه المسألة شرعية ولا خلاف فيها بين العلماء.

ويستطرد قائلاً: بأن أمر الله بالتداوي ورسوله وهذا التداوي لا ينقص إيمان المرء وإنما قد يأثم الإنسان بسبب الإهمال في التداوي.. والتداوي نوعان النوع الأول: قد يكون بأدوية محسوسة كالطب الحديث وهو معلوم بحيث يعلم الطبيب سبب المرض ثم يعطي المريض الدواء لدفع ذلك السبب، وكذلك تستخدم للعلاج وهذا الأمر مشروع ولا خلاف فيه مالم يكن العلاج محسوساً..

أما النوع الثاني من الأشياء المحسوسة: ما يسمى اليوم بالطب العربي وهو أيضاً قد يكون أساساً للطب الحديث، منه ما هو ممدوح وفيه يكون المعالج خبيراً بهذه الأعشاب وأنواعها وفوائدها وأثرها، وربما كانت سبباً للشفاء من الأمراض، وهذا النوع من العلاج جائز، ومنه ما هو مذموم حيث يظهر بعض المدعين بالطب العربي ومنهم الذين يعطون الناس الأعشاب المتنوعة التي ربما كانت لها آثار سلبية فربما أزهقوا بذلك أرواحاً وأدخلوا الى الناس أمراضاً مزمنة، وينتقل الدكتور/ صالح صواب بالحديث قائلاً: البعض يستخدم الأعشاب مضيفاً اليها نوعاً من العسل والحبة السوداء ولا هو لايعلم بالحالة وهذا الأمر مهلك وهذا غير جائز.

تشويه

● يصعب اتهام محل المعالجين بالأعشاب ولكن يسهل تماماً معرفة الحق من الباطل بمزيد من التحري والتدقيق مع القناعة التامة بوجود أطباء أعشاب دجالين يضحكون على الناس باصطناع الدواء، لكن الأمراض والحالات والقدرة على العلاج بالطب التقليدي إلا أن هذه الظاهرة تؤكد وجود حقائق للعلاج بالطب العربي التقليدي شوهها متنفعون وكذابون يجب وقفهم عند حدهم.

▫ معالجون يخدعون المرضى ومدعون يشوهون علاج الأعشاب
▫ معالجون تقليديون يؤكدون براعتهم.. والطب الحديث يستنكر إمكانياتهم

التبرع الطوعي بالدم عمل إنساني وواجب وطني وقطرات قليلة من دمك تنقذ حياة المرضى والجرحى